

التناسب الإيقاعي الدلالي في سورة العلق

م.د. جليلة صالح العلق
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الملخص:

إن المتأمل في سورة العلق. يجد تأثير الألفاظ المختزنة في الإيقاع المناسب للمعنى. وكان ذلك من تمام أسلوبها في إظهار البرهان على قوة الله - جل شأنه - وقدرته وعظيم كرمه. إزاء ضعف الإنسان وطغيانه. فكان اختيار السياق القرآني لألفاظ ذات ملامح دلالية. وطاقات تعبيرية. تميزها عن غيرها من الألفاظ التي تؤدي المعنى نفسه. وكان من بين تلك الطاقات تلك التي تؤديها طبيعة الأصوات التي تستقل بها تلك الألفاظ. إذ أكسبتها أبعاداً دلالية. وذائقة سمعية تميزها عما سواها. حتى بدت حروفها في كلماتها. وكلماتها في جملها. كأنها في ائتلافها وتناسبها قطعة واحدة. فكان إيقاع الكلمات والجمل وتناغمها في وحداتها المعنوية. موافقاً للمعنى الإفرادي (الجزئي) في اللفظة. والمعنى الكلي الجامع. الذي تدل عليه السورة. وبذلك تضافرت كل مكونات النص ومعطياته؛ لإبراز المعنى الكلي للسورة. الذي لم يقيم على موسيقى اللفظ منفرداً. أو تناغم الكلمة وحدها. بل على دلالة الجملة أو العبارة التي انتظمت في سياقها. أما تكرار الحروف في الكلمة. وتكرار الكلمات في الآيات. فقد كان له أثره الدلالي الواضح. الذي يضاف إلى المدلول المعنوي المستفاد من الوظيفة اللغوية للكلمة. فكان إيقاع اللفظ وتناغمه. وإيقاع العبارات وتناغمها جرساً موسيقياً متناسقاً من الناحية الإيقاعية. ومن الناحية الدلالية. مجلياً بذلك. وقع في السمع. وأثر في النفس. لدى المتلقي. الذي أبهره ذلك الانسجام في النغم بين مجموع الكلمات في الآية الواحدة. الذي أضفاه تناسب حروفها. والانسجام بين مجموع آياتها. الذي نتج عن تناسب المقاطع الصوتية. التي تنوعت تبعاً لتنوع موضوعات السورة. فجاء تنوع الإيقاع فيها مناسباً لتنوع الموضوعات التي انتظمت في عقد واحد

تنوعت شذراته. وانتظمت حباته فبدت منسجمة في أعلى مستويات الانسجام. إذ جمعها سلك إيقاعي دلالي. فجاءت في أسلوب ينساب في عذوبة وسلاسة. في حسن تركيب. وبديع ترتيب. وتلك هي قمة البلاغة التي لا تفصل بين جوهر المعنى. وأسلوب أدائه من حيث التناسب والتآلف والعذوبة والإيقاع. فكان لها أثرها الواضح في القلب والعقل. والروح والفكر. وهذا ما لا نجده في خطاب سوى الخطاب الإلهي المعجز.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وصحبه الكرام . وبعد...

فقد بلغ التناسب في السياق القرآني الدرجة العليا في إحداث جماليات النص الفني. ويعد الإيقاع الموسيقي أحد مظاهر هذا التناسب. وهو ناتج عن ملائمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه. فضلاً عن أنه يتنوع بتنوع الفواصل الطويل منها والقصير. والمتماثل منها والمختلف. فهو إيقاع لغوي مُتفَرِّد. لا يماثله إيقاع. أو يقترب منه؛ إذ تحرر من كل قيد يقيد المعنى. أو يحد من النظام الصوتي. مما أدى إلى حرية التعبير. وامتلاك آفاق رحبة من التآلف والتلازم والانسجام. فهو إيقاع جماعي. يقوم به الحرف الصوتي بوظيفته. والكلمة في نسقها بأدائها. والجملة في سياقها التركيبي بمهمتها. والآية من خلال السورة والموقف بما يراود منها. والفاصلة من خلال التردد الصوتي. واللفظي. والتكرار الإيقاعي بأثرهما المطلوب. فهو إيقاع منبعث من النص. بكل ما فيه من معطيات ومكونات صوتية ولفظية (١). وللقرآن الكريم أسلوب خاص انفرد به. في تأليف كلامه. واختيار ألفاظه. مخالفاً لما عهد في كلام العرب من

انتقل السياق إلى فاصلة أخرى. انتهت بصوت (الميم). وهو من الأصوات المتوسطة. سميت بذلك؛ لأنها ليست انفجارية ولا احتكاكية في خروج الهواء عند النطق بها. وفي العوائق التي تواجهه. وقد سماها المحدثون: (الأصوات المائعة). أو (السائلة) (Liquid). وتسمى أيضاً: (حروف الذلاقة): لحقتها في النطق. وسلاستها على اللسان (٩:لذا شكلت السمة البارزة في ألفاظ هذا المقطع من السورة. فقد تكرر كل من صوت (اللام) وهو من حروف الذلاقة أيضاً وصوت (الميم) ثمان مرات. أما صوتي (الراء) - وهي من حروف الذلاقة أيضاً - و(العين) (١٠). فقد تكرر كل منها ثلاث مرات.

فكان اختيار الأصوات في هذا المقطع اختياراً عجبياً. إذ أثبتت الدراسات الصوتية أن (اللام). و(الميم) وهما من أكثر الأصوات تكراراً هنا «من أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً. وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين» (١١). التي خُتمت بأحدها الآيات التي تلت هذه الآيات. إذ ختمت بالألف المقصورة. في قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا) (١) (أَنْ رَّاهُ اسْتَعْنَى) (٧) (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) (٨) (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ) (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ) (١١) (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ) (١٢) (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) (١٣) (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ) (١٤). لذا يميل بعضهم إلى تسميتها: (أشبه أصوات اللين) (١٣).

وإننا لنذكر تلك الدلالة التي تؤديها الفاصلة في آيات المقطع الثاني من السورة: إذ وردت فيها الفواصل متلائمة تمام المتلائمة مع المعنى المراد. فقد استعمل السياق القرآني كلمة دون غيرها. مع تقارب في المعنى. مؤثراً بذلك الجمع بين جرس الكلمة وإيحائها. فجاءت كلماته في هيئات لطيفة في الإيقاع. إذ اختار - سبحانه وتعالى - كلمة (الأكرم) بدلاً من (الكرم): لتناسب الفواصل من الناحية الإيقاعية. أما من الناحية المعنوية. فإننا نجد كرمه - جلَّ شأنه - كاف باعتباره خالقاً ومدبراً. فهو يدبر الكون باستمرار. ولا يغفل عنه طرفة عين. إلا إن ذلك في نظره - سبحانه - غير كاف. فالكون له حاجة إلى أكثر من ذلك. وهو التعليم والتكامل: لذا فهو دائم الإفاضة على عباده (١٤). قال تعالى: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (٥) (فهو كرم في الوجود: لأننا لم نطلب منه الوجود لكي نوجد. وأما التعليم. فهو أكثر من ذلك. إذ جعل في الإنسان القابلية للتعليم. وهو أمر وجداني في كل الأفراد. أي أنه سبحانه أوجد شرطه وهو القابلية. فبعد أن خلق المعرفة والأفكار. خلق الأفكار التي لها القابلية على الاستيعاب والحضور في الذهن. فصار - سبحانه - أكرم: لأن ذلك نعمة بعد نعمة (١٦).

وهذا ما تشير إليه الدراسات الحديثة. فيما تطلق عليه (جو الألفاظ). إذ «ينساق للألفاظ مع الاستعمال شيء أوسع من الاختصاص. وإن كان قريباً منه. وهو جو توحيه الألفاظ لدى مطالعتها. وقد تفي لفظتان بغرض مائل. لكن إحداها ينبثق منها المعنى مصحوباً بجو غير جو أختها على صورة أقوى. أو أضعف. أكثر جداً. أو أكثر هزلاً» (١٧).

ومن هنا جاء الاستعمال القرآني للفظ (الأكرم). بدلاً من (الكرم). التي لا توحى بالمعنى بقوة ما أوحته لفظه (الأكرم).

الفواصل والمقاطع. تأمل ذلك في سورة العلق. التي سنتناولها على وفق مقاطعها الصوتية القائمة على أساس الفاصلة. إذ نجد تناسب ألفاظها وآياتها مع ما تضمنته ظاهراً وباطناً. من غير اختلاف أو تناقض بين أجزائها. سواء في الكلمة الواحدة. أم في جوار الكلمات. فلو تأملنا في المقطع الأول من السورة والمتمثل في قوله تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)) (٢). ستستوقفنا لفظة (العلق). التي وردت في جميع المواضع مفردة إلا في هذه الآية. إذ وردت بصيغة الجمع. ولرب سائل يسأل: ما السر في ذلك؟ نقول: إنها جاءت بصيغة الجمع (العلق). وإنما هي (علقة). لسببين:

الأول: إن الإنسان يراد به الجنس: لاتصال (ال) الجنسية به فهو بمعنى الجمع: لذا جاءت لفظة (العلق) بصيغة اسم الجمع مناسبة له.

والثاني: مراعاة الفاصلة القرآنية في السورة. إذ خُتمت الآية التي سبقتها بالفعل (خَلَقَ): لذا وردت لفظة (العلق). بدلاً من (العلقة): لمناسبة الفاصلة القرآنية فيها.

وهنا نلاحظ. أنه مع مراعاة دقة مدلول الكلمة. «يقع الاختيار عليها: لتناسب حروفها. وانسجام إيقاعها. مما لا ترقى إليه أداءات كلمة أخرى. فنغمة النطق ملحظ من ملاحظ الاختيار في القرآن. في توظيف يتسق مع جمال المعنى ودقته» (٣).

فقد تناسبت فواصل الآيتين في إيقاعها. وزنا وجرساً: لتوحي بالمعنى العام للسورة. إذ ختمت فاصلتا الآيتين: الأولى والثانية. اللتين تمثلان أول وحي إلهي بحرف (القاف). في (خلق). و (علق). وهو صوت شديد انفجاري. إذ يفتح مجرى الهواء عند النطق به انفتاحاً كاملاً. فينتقل إلى الأسماع مؤثراً فيها تأثيراً خاصاً. وهو من الأصوات المجهورة التي تهتز معها الأوتار الصوتية (٤) ما يوحي بالقوة: لتناسب فواصل الآيات مع دلالتها على القدرة الإلهية المطلقة. إزاء ضعف الإنسان وطغيانه. ومصيره المحتم. تلك المعاني التي تجسدها الآيات التي تلت هاتين الآيتين. فضلاً عن ذلك. فإن السياق جاء شائقاً: لتقوية نفس النبي. وإزالة القلق والاضطراب عنها. فالمعنى: اقرأ كتاب ربك ولا تخف. وفي السياق اللاحق لهاتين الآيتين. في قوله تعالى: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٥) (٥) مزيد من التقوية لقلب النبي. وتطبيب لنفسه (٦).

وبمزيد من التأمل نجد تكرار هذا الصوت في كلمات هذا المقطع. إذ ورد أربع مرات. كان أولها في فعل الأمر (اقرأ). الذي تدل صيغته على التسلط والقوة والعلو: لتزيد من إيحائه بما يتناسب ودلالة السياق العامة. التي توحى بالقدرة الإلهية المطلقة.

وبذلك شكلت الفاصلة القرآنية عنصراً أساسياً من عناصر اللغة الإيقاعية في السورة: لذا انما القرآن الكريم بحسن الإيقاع. إذ جاءت الفواصل في ختام الآيات حاملة تمام المعنى وتتمام التوافق الصوتي في آن واحد (٧).

وفي قوله تعالى: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٨).

التعلم، فضلاً عن تعليمه للبشر عن طريق أنبيائه وكتبه، فالعلم هو النهاية في الشرف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن العلة هي بداية التكوين، إذ تمر بأطوار متعددة حتى تصبح إنساناً، فهناك فرق بين المنشأ والمصير، بين العلة والإنسان، كذلك القلم فهو بداية المعرفة، فالعلم الذي وصل إلينا إنما دَوَّن عن طريق القلم، الذي لولاه لما وصلت إلينا الحقائق كاملة، وهناك فرق بين القلم والعالم الرقمي والإلكتروني الذي وصلنا إليه اليوم، إذ أصبح الحاسوب على رأس كل تدوين، فكما أن أساس الإنسان العلة، وأساس العلم القلم، فهناك علاقة بين العلة والقلم، بين الإنسان والعلم، فبالعلم والعلم ترتقي الإنسانية ارتقاءً لا حدود له، وإلى درجات لا حدود لها.

وقد ورد لفظ (الإنسان) في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً (٢٣)، مما يؤكد أهمية الإنسان ومنزلته عند الله - تبارك وتعالى - «فالإنسانية في القرآن ارتقاء إلى درجة تؤهله لخلافة الأرض، واحتمال تبعات التكليف؛ لأنه مختص بالعلم، والبيان... (٢٤)»، وأكثر ما يذكر الإنسان، يذكر معه ضعفه: كبحا لجموح غروره؛ كبحاً يتجاوز قدره فيطغى، والعلق في المقطع الأول، يذكر بضعف الإنسان، إذ (خلق الإنسان من علق)، والإنسان - هنا - يدل على الجمع، و (الألف واللام) التي تدل على استغراق الجنس خير دليل على ذلك، فجنس الإنسان خلق من ضعف؛ لذا تكرر في المقطع الثالث، الذي يمثل حال المفرد وهو (أبو جهل)، الذي مثل الطغيان، إذ يقول عز من قال:

{ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (١) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) }

وفي هذا المقطع، تناسبت فواصل الآيات في إيقاعها وزناً وجرساً؛ لتوحي بالمعنى العام للسورة التي انتظمت في سلكها، إذ ختمت فواصل هذه الآيات بالألف المقصورة، في نغمات قصيرة أو متوسطة بين الآيات؛ لتدل على معنى التذكرة والاعتبار من حال الإنسان (٢١)، الذي غره كثرة ماله وأعوانه فطغى، ظاناً أنه استغنى فتكبر، ناسياً أو متناسياً أن الله سبحانه وتعالى يرى، أما أن للغافل أن يستيقظ، وللعاقل أن يتنبه، وللقلوب أن تصحو؟! لتري الحق؛ لأن الله يرى وان إليه الرجعى...

فكان التناسب واقع بين الوحدات المعنوية في داخل السورة، مع عدم الإخلال بتوافق المقصد العام للسورة، ويستمر هذا الإيقاع في هذه الآيات مختوماً (بالألف المقصورة)، والألف من أصوات المد، التي يؤتى بها لزيادة التطريب، إذ كان العرب يترنمون بحروف المد، وإلى ذلك يشير سيبويه (ت ١٨٠هـ) بقوله: «أما إذا ترنموا، فإنهم يلحقون الألف، والياء، والواو، وما ينون، وما لا ينون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت» (٢٧)؛ وتعد أصوات المد، إلى جانب النون والميم (٢٨)، من دلائل تأكيد اتصاف السور القرآنية بوحدة الإيقاع؛ لذا كان أكثر الأصوات تكراراً في هذه السورة؛ إذ انتهت به فواصلها من الآية السادسة إلى الآية الرابعة عشرة، فكانت فواصلها على التوالي: (يطغى، استغنى، الرجعى،

ثم لتصور ما سيفقده السياق من روعته، لو قلنا: (اقرأ وربك الكريم الذي علم بالقلم).

إن المعنى الثانوي للفظه (الأكرم)، والذي أضفته صيغته الصرفية، التي رافقت المعنى المعجمي، وأسهمت معه في إطلاق نواح متعددة ومتنوعة حول اللفظة، هي جزء من ظلالها كما تسميه الدراسات الحديثة (١٨) أما جزؤها الآخر، فيرسمه صوتها أو موسيقاها عندما تأتلف مع غيره في السياق، إذ يظهر تأثير الكلمات المختزنة بالإيقاع المناسب للمعنى في النص القرآني، فكان ذلك من تمام أسلوبه، في تحقيق إظهار البرهان، وتفعيل الإرادة، وخفيز الوجدان؛ ومن هنا كان هذا أحد دواعي اختياره لهذه الألفاظ تحديداً دون غيرها (١٩).

ونلاحظ هنا الترابط الحاصل بين فواصل هذه الآيات ومعناها، والتناسق الحاصل من الناحية الصوتية، والمعنوية، بين ألفاظها: (اقرأ، وعلم، والقلم، وما لم يعلم)، من جهة، ثم التناسب الحاصل بين ألفاظ هذا القطع، والمقطع الذي سبقه من جهة أخرى.

ولنبداً بالفعل (اقرأ)، الذي ابتدأ به المقطع الأول، ثم تكرر لبدأ به المقطع الثاني، وهنا تطالعنا آراء متعددة تكاد تقترب فيما بينها (٢٠):

منها أن التكرار إنما هو للتأكيد، أو للتوصل إلى مدلولها فتكون وصفاً للنعمة بخلة الإنسان في المقطع الأول، وتعليمه في المقطع الثاني، فيكون المجموع متناسباً مع القراءة.

ومنها إننا نفهم من القراءة الجانب المعنوي، وهو التفكير في خلق الله، فيكون ذلك مناسباً مع خلق الإنسان، إذ إن خلق الإنسان من أعظم العبر والمعجزات في العالم، بل أهمها على وجه الإطلاق.

ولعل قائلًا معترضاً يقول: إنه إذا كان معنى (اقرأ الأول): التفكير، فإنها لا تتناسب مع (اقرأ الثانية) التي مدلولها القلم والكتابة.

والرد على ذلك يكون من وجهين:

الأول: إن التفكير كما يكون في الكون ثبوتاً، يكون بالكتابة إثباتاً.

والثاني: إن الكتابة والعلم، والقراءة، كلها حصص من التفكير في الكون (٢١)، ولنأخذ لفظين آخرين هما: (العلق) في المقطع الأول، و (القلم) في المقطع الثاني، إذ يبدو لأول وهلة عدم الترابط بينهما، مما يجيز للسائل أن يسأل:

ما العلاقة بين العلة والقلم؟

وللإجابة نقول: «أن أول أحوال الإنسان كونه علة، وهي أخس الأشياء، وآخر أمره هو صيرورته عالماً بحقائق الأشياء، وهو أشرف مراتب المخلوقات، فكانه تعالى يقول: انتقلت من أخس المراتب، إلى أعلى المراتب، فلا بد لك من مدبر مقتدر ينقلك من تلك الحالة الخسيسة، إلى تلك الحالة الشريفة» (٢٢).

وفي ذلك إشارة إلى أن العلم أشرف الصفات الإنسانية، فالإيجاد، والإقدار، والرزق، وغيرها، من كرم ربوبيته - جل شأنه - أما الأكرم من ذلك فهو إعطاؤه التعليم بخلق القابلية على

ينهى، صلى، الهدى، التقوى، تولى، يرى).

إن تكرار صوت المد هنا، مع كونه يقصد إلى أغراض معنوية، يعد أثراً إيقاعياً يجذب الأذن والقلب إلى الرغبة في إتمام قراءة السورة، أو مجموعة الآيات التي التحمت فيها الوحدة المعنوية مع الوحدة الإيقاعية، وقد بدأ هذا المقطع بحرف الردع (كلا) في قوله تعالى (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَاذِبٌ) «فهو ردع عما يستفاد من الآيات السابقة، إذ إنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم النعم، فبدلاً من أن يشكره : عصى وطغى وكفر بنعمه - جل شأنه - (٢٩) وهنا يتضح الانحدار الدلالي في المعاني التي تضمنتها هذه الآيات: لذا اختير لها من الأصوات أضعفها وألينها: لتتنق مع سلبه المعاني التي عبرت عنها، من تمرد وطغيان، وبذلك نجد للإيقاع الصوتي القرآني أثراً في المعنى الذي يدل عليه النص، فـ «إيقاع الكلمات والجمل والسور في وحداتها المعنوية، يوافق المعنى الجزئي في الكلمة، أو المعنى الكلي في المعاني الجامعة التي تقصد إليها السورة القرآنية» (٣٠)

وعند تدقيق النظر في هذه الآيات، والتأمل في مكنونها، نجد فيها دلالتين تتجاذبان، بل تكادان تسييران معاً: هما: دلالة القوة التي تجسدت في بداية السورة واستمرت في حنايا آياتها؛ لترافق دلالة الضعف التي تجسدها هذه الآيات، اللاتي نزلت - وباتفاق أغلب المفسرين - في أبي جهل، إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي جهل: «فقال له: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم إنني أكثر أهل الوادي نادياً» (٣١)، فانزل الله تعالى قوله: (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)، وهنا يتضح ضعف أبي جهل وضعف ناديه إزاء قوة الله - تبارك وتعالى - وقوة زبانيته، يقول ابن عباس: «والله لو دعا ناديه، لأخذته زبانية الله» (٣٢)، وكان أبو جهل يقول: ليس في مكة أكرم مني (٣٣)، فجاء الخطاب الإلهي: «وربك الأكرم».

وفي قوله تعالى: (أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) تدل (سين) استغنى على أن الإنسان رأى نفسه، فظن أنها نالت الثروة والغنى: لأنها طلبته وبذلت الجهد في الطلب، والحقيقة أنه نالها بإعطاء الله وتوفيقه، لذا فإن أكثر الأغنياء يكونون في الآخرة مدبرين خائفين، يريهم الله أن ذلك الغنى ما كان بفعلهم وقوتهم، بل بفعل الله وقوته (٣٤).

وفي قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى) : أي أريت إن صار على الهدى واشتغل بأمر نفسه، أما كان يليق به ذلك، و هو الرجل العاقل ذو الثروة، فلو أنه اختار الدين والهدى والأمر بالتقوى، أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله، والنهي عن خدمته وطاقته؟ كأنه تعالى يقول، تلهفاً عليه: كيف فوت على نفسه المراتب العالية، وقنع بالمراتب الدنية (٣٥)؟ وتستمر الموازنة: لإظهار سلبية المعاني، وانحطاطها من جهة أبي جهل، إزاء كمال الله وقدرته، ففي قوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى)، تهديد بالحشر والنشر، أي أنه - جل شأنه - عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع المقدرات، حكيم، لا يهمل عالم، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض وفي السماء، فلا بد من أن يوصل جزاء كل أحد بتمامه (٣٦).

وفي المقطع الرابع من السورة يقول، جل من قال:

(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْ بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (٣٧).

ردعاً وتهديداً ورداً على قول أبي جهل: أنه يقتل محمداً، أو يبطأ عنقه، فجاء الخطاب الإلهي متحدياً إياه، فالأمر ليس كما يقول ويريد، بل أن تلميذ محمد، هو الذي يقتله، ويبطأ صدره، ثم لنأخذ بناصيته أخذ الذليل المهان، ولنجدبن إلى العذاب تلك الناصية، ناصية الكاذب فيما يقول، الخاطئ فيما يفعل، و (الزبانية): الملائكة الموكلون بالنار، والأمر هنا تعجيزي، أشير به إلى شدة الأخذ، فليدع هذا الناهي جمعه لينجوه ما هو فيه، وسندع الزبانية الغلاظ الشداد، الذين لا ينفع معهم نصر ناصر (٣٨).

وبهذه الدلالات تتراجع قدراته وأمانيه، أمام قدرة الله وإرادته، أما فواصل هذه الآيات فقد انتهت بحرف (التاء)؛ وهي: (ناصية، وخاطئة، والزبانية)، باستثناء (ناديه)، فقد انتهت بـ (هاء السكت)، وأصلها (نادي) ووظيفة (هاء السكت) تبيين الحركة التي قبلها (٣٩)، وقد علل بعضهم استعمال العرب (هاء السكت) في نهاية الكلمات: بأن العربي ينفر من الوقف على المقطع المفتوح، فيطيل نفسَه بعد هذه الحركة، إذ تتولد (هاء)، فيكون ذلك إمارة على الحنجرة قد لفظت آخر أصواتها الكلامية (٤٠).

ونلاحظ أن (التاء) في: (ناصية، وخاطئة، والزبانية) عند الوقوف عليه تنقلب (هاء ساكنة)، وبهذا يتبين لنا أن (هاء السكت) في (ناديه) قد تجاوزت وظيفتها في الحفاظ على الحركة، وخرجت إلى «وظيفة صوتية تنغيمية في الكلمات الأخرى، حين تتألف مع ذلك المقطع، الذي يتصاعد مع رؤوس الآيات (٤١)»، وبذلك يكون لفظ آخر الفواصل (هَاء) عند الوقف، وهو ما يزيد النص جمالاً وفصاحة: لذا كان الوقف في نهاية كل فاصلة من أهم سمات سورة العلق، وهو من الأمور التي أضافت إلى النص القرآني بهاءً وجمالاً، والتي أطلق عليها المحدثون: (مسحة القرآن اللفظية)، وهي مسحة خلابة تجلت في نظام القرآن الصوتي، بما فيه من الوقف، والوصل، والمد ... الخ، ما يسترعي الأسماع، ويستنهوي النفوس، بطريقة لا يصل إليها كلام آخر (٤٢).

وما جدر الإشارة إليه، هنا، إن الوقف على الفواصل يحقق أغراضاً منها: إظهار المعاني بصورة واضحة، وإبراز موسيقى الفواصل القرآنية، فضلاً عن استراحة القارئ عند نهاية كل فاصلة، والتفكير في آيات القرآن وتدبره (٤٣)، وهذا ما يجعلنا نتفكر ونتدبر في دلالة هذه الآيات، التي جاءت مهددة بعد أن سوّد وجه أبي جهل، وهذا ما يدل عليه الفعل المؤكد (لننسفعاً)، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على الإهانة والإذلال.

ثم تأتي خاتمة السورة بقوله تعالى:

(كَلَّا لَا تَطَّعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (٤٤).

وقد انتهت فاصلتها بحرف (الباء)، وهو صوت شديد، فضلاً عن توالي الأصوات: (التاء، والطاء، والذال، والقاف)، وهي أصوات شديدة أيضاً، وظفت لتناسب جو الآية الذي يوحي بالقوة.

أما الألفاظ فقد تكرر كل من: (أَقْرَأُ) (خَلَقَ) (وَرَبُّكَ) (الَّذِي) مرتين، وتكرر (الإنسان) مرتين أيضاً، وذكر مرة ثالثة في المقطع الثالث، أما الفعل (علم) فذكر ثلاث مرات.

وفي المقطع الرابع نلاحظ تكرار الفعل المسبوق بالاستفهام (أَرَأَيْتَ) ثلاث مرات، وتكرر حرف الاستفهام (الهمزة) أربع مرات. أما حرف الردع (كلا)، فقد تكرر ثلاث مرات توزعت على مقاطع السورة.

وكانت أكثر الحروف تكراراً: (اللام، والميم، والقاف، والعين)، وكلها أصوات مجهورة: ذلك بأنها جاءت في سياق القوة، الذي يدل على عظمة الخالق وقدرته، ويؤكد وعيده - جل شأنه - وأن له الرجعي، وهكذا نجد التناسق بين أصوات الحروف ومعانيها التي دلت عليها، فضلاً عن أن الاستفهام قد ورد أربع مرات هنا، من هنا فانه لا ريب قد أفاد أشياء أخرى، غير التحقيق والتقرير، «ففي إثارة هذا السؤال الذي يلفت الوجدان إلى التفكير، والغوص في الموقف، والبحث عن وجه الصواب، ثم نجد سلسلة من التداعيات والرؤى، تثار في القلب والخاطر حول هذه الحقيقة، ثم هذا السؤال يبقى بقاء كلمة الله، يلح على ضمير الإنسان» (٤٨)، ولما كانت سورة العلق أول وحي إلهي نزل على الرسول الأُمِّي، أراد الباري - عز وجل - أن يرسم لنا صورة بصرية كأنها ماثلة أمامنا، وهي تصور موقف أبي جهل تجاه الرسول الكريم؛ فلهذا استعمل لفظه (أَرَأَيْتَ)، ولم يستعمل (أسمعت)، علماً أن القرآن نزل لكل العصور، وعليه فالغالبية العظمى لم تر أباً جهل، وإنما سمعت عنه، إلا أن القرآن الكريم أراد أن يصور لنا سوء خلق هذا الرجل، وسوء تصرفه تجاه الرسول الكريم؛ ولزبد من الاستهجان أورد هذا الأسلوب، الذي كثيراً ما نستعمله عندما نريد تصوير موقف حصل لنا مع شخص معين، نقول: (أَرَأَيْتَ ماذا فعل بنا فلان) لكي نبين سوء موقفه واستهجانه، وهذا ما فعله السياق القرآني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إن الاستفهام يفتح أمامنا آفاقاً متعددة، ويجعلنا إزاء كل الاحتمالات والتصورات، فينقل الفكر مساحات واسعة، وهذا ما أراده القرآن الكريم - والله أعلم - وهكذا تظهر لنا فائدة التكرار في سياق سورة العلق فنقول: أن من يتوهم أن في ذلك مخالفة للفصاحة، يكون قد فاتته أثر ذلك في التناسب الحاصل بين الوحدات المعنوية في السورة، مع عدم الإخلال في المعنى العام لها، ففي كل مجموعة منها - أو مقطع كما أسميناه - نلاحظ الانسجام في النغم الذي يسود مجموعة الكلمات القرآنية في الآية الواحدة، فضلاً عن الانسجام الحاصل بين مجموع الآيات، فكان التوافق بين الإيقاع والأبعاد الدلالية التي تكشف عنها الآيات، فكان في ذلك تقرب للحقائق الكلية في السورة التي تضمنت أول وحي إلهي للنبي الكريم؛ ضمنها - سبحانه وتعالى - رحلة الإنسان من البدء (مذ كان علقاً)، إلى المنتهى (إذ إلى ربه الرجعي)، في أسلوب متسق رصين مؤثر في القلوب مجتذب للعقول، وهذا ما لا نجده في خطاب غير خطاب الله تبارك وتعالى. موسيقى الألفاظ على مستوى التنغيم

لأهمية الخطاب الموجه إلى الرسول الكريم؛ والذي يدعو إلى التوافر على العبادة: فعلاً وإبلاغاً، وترك هذا العدو: لأن الله - جل شأنه - مقوي رسوله وناصره.

وقد بدأت هذه الآية بلفظة (كلا)؛ لردع أبي جهل، المرة الثالثة في هذه السورة، ثم جاء النهي بـ (لا تطعه)، داعياً الرسول الكريم إلى السجود، بقوله: (وَاسْجُدْ)، وإلى الاقترب، بقوله: (وَأَقْتَرِبْ)؛ ليكون هذا الفعل الفاصلة الأخيرة في هذه السورة، وقد جاء مؤتلفاً ومنسجماً مع الفعل (اسجد)؛ لأنه «أقرب ما يكون العبد من الله، إذا كان ساجداً» (٤٥) هذا ما ذكره الرسول الكريم؛ وردده بعده الأئمة^٨، إذ روي عن أبي عبد الله^٩ قوله: «أقرب ما يكون العبد من ربه، إذا دعا ربه وهو ساجد» (٤٦)، فضلاً عن القرب من الله - جل شأنه - فإن للسجود أثراً في التخفيف عن النفس، وكما نعلم، أن هذه الآيات جاءت للتخفيف عن نفس الرسول؛ وقد أكدت الدراسات مؤخرًا، أنه عند السجود يفرغ الجسم الشحنات الزائدة في الأرض عن طريق الدماغ، مما يؤدي إلى الراحة البدنية والنفسية (٤٧)، فسبحان الله، كيف كان اختيار هذا الفعل مناسباً لسياق الآية؛ إذ كان له أثر واضح في المعنى الذي تدل عليه بمفهومها، أو بإيحائها؛ فضلاً عن تناسبه مع السياق العام للسورة، الذي تضمن نهى عن الصلاة والسجود.

وبذا تكون الفاصلة القرآنية في جميع الآيات المتقدمة، أثر في إضفاء دلالة تضاف إلى المدلول المعنوي المستفاد من الوظيفة اللغوية للكلمات، وفي ذلك توظيف لأداة أخرى من أدوات تجسيد المعنى، تتمثل بالإيقاع؛ ليبداً واضحاً التوافق بين الإيقاع والمعنى؛ إذ نلاحظ تدرج الإيقاع على وفق تدرج المعنى، فبعد أن بدأت السورة بإيقاع يدل على القوة، بدأ يهدأ قليلاً قليلاً، في قوله تعالى: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، ثم بدأ المعنى ينساب تدريجياً، في الآيات التي انتهت فاصلتها بصوت المد (الألف المقصورة)؛ ليستبد مرة أخرى في السياق الذي توعد فيه الكافر وهدهد.

ما تقدم نستنتج، أن للفاصلة في الآيات المتقدمة أثراً تعبيرياً متميزاً، ومثيراً قوياً للإيقاع، فكانت ملمحاً قوياً من ملامح الإيقاع الموسيقي في السورة، وكان النظم الصوتي فيها ينضوي على دالتين مهمتين هما:

الأولى: دلالة صوتية، تتمثل في الإيقاع والرنين الصوتي، المنسجم تمام الانسجام مع نسق الآية وسياقها العام.

الثانية: دلالة معنوية، تحمل تمام الفكرة في كل آية من الآيات المتقدمة.

التكرار الصوتي في السورة

قد يتوهم بعضهم من نظرتهم السريعة إلى السورة أن القرآن قد خالف الفصاحة في انتقاء مفردات تكررت فيها بعض الحروف، فضلاً عن تكرار المفردة نفسها، ففي المقطعين الأول والثاني فقط مع - قصر الآيات فيها - تكرر حرف (اللام) أربع عشرة مرة، و (الميم) ثمان مرات، و (القاف) أربع عشرة مرة، و (العين) أربع مرات، و (الخاء) مرتين.

لفظ الجلالة (الله). ولعل السبب في ذلك أن لفظة (ربك) في هذا السياق أكثر تناسباً من لفظة (الله). من الناحيتين الصوتية والدلالية:

- فمن الناحية الصوتية: نجد أن من بين الأصوات التي كونت لفظ الجلالة (الله). صوت (اللام). وهو صوت «مائع» (متوسط). مجهور جانبي مرقق دائماً، إلا في لفظ الجلالة، فإنه يفخم إذا كان الانتقال إليه من فتح أو ضم، فأما إذا كان الانتقال من كسر، فإنه يترقق على أصله» (٥٥). وعليه لو قلنا: «اقرأ باسم الله الذي خلق». يكون لفظ الجلالة هنا مرقق. وهذا لا يتناغم مع سياق القوة والأمر في هذه الآية؛ لذا جاء بلفظه (ربك). والراء) من الحروف التكرارية، التي تحتاج إلى جهد. وقابلية على التحكم بالعضلات عند النطق بها؛ لذا نجد الكثيرين من يواجهون صعوبة في نطقها. و (الراء) هنا: (راء مفخمة). وليست مرققة؛ لأنها متحركة بعد كسر (٥٦). فجاء استعمال (ربك) بدلاً من (الله)؛ لتناغم سياق القوة والعظمة.

- أما من الناحية الدلالية: ففي سياق السورة إشارة إلى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى. والتي تبدأ من خلق الإنسان من (علقة). إلى بلوغه أرقى درجات التطور بالعلم والمعرفة. ولفظة (الرب): تعني «المالك والسيد والمدبر والربي والقيم ... وفي الحديث: لك نعمة تربُّها: أي حفظها وتراعيها. وتربُّها كما يربي الرجل ولده» (٥٧). وبكل ما تحمل هذه الكلمة من معان وإيحاءات دلالية وطاقات تعبيرية. بل وبما يرقى عليها أحاط الله - جلَّ شأنه - كل مخلوقاته ومن بين تلك المخلوقات سيدها. الذي أحاطه الله برعايته منذ البدء، مذ كان نطفة، فعلاقة. فمضغة حتى يكتمل جنيناً ويخرج طفلاً، إذ تكفله في رحم أمه. الذي أشتق من الأصل اللغوي (رَحِمَ). الذي يعني «الرقعة والتعطف والرحمة» (٥٨). ومنه (الرحمة) التي تعني: «رقعة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان» (٥٩). فكيف وقد تكفله الرحمن الرحيم في ذلك الرحم. فأمدّه بالحياة وأسبابها من غذاء وهواء وحماية. وتستمر رعايته - جلَّ شأنه - بعد أن يولد. أي بعد أن يخرج من عمة الرحم إلى نور الحياة.

وبذلك تتسع دلالة (الرب) لتعني التربية وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام ولا يقال (الرب) مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات (١٠) ومنه أخذ لفظ (الربي). ويقال: رب الأسرة: أي صاحبها والمسؤول عن تربية الأطفال ورعايتهم فيها. وهذه اللفظة تبين لنا أن الله - تبارك وتعالى - لم يقتصر كرمه على خلق الإنسان. وإبصاليه إلى مراحل العلم والمعرفة فقط. وإنما تولاه - جلَّ شأنه - ورياه في كل مراحل حياته؛ لذا يقول عز من قال: (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ). إذ تكررت هذه اللفظة في السياق الذي يدل على مزيد كرمه وفيض عطائه.

ونأخذ مثلاً آخر وهو لفظة (الناصية). التي جاءت موافقة من الناحية التنغيمية لما قبلها وما بعدها. أما تكرارها فقد زادها تناسباً وأتلاًفاً مع المعنى الذي سبقت لأجله. إذ حملت بين طياتها دلالة الإذلال لأبي جهل. والإقلال من شأنه. وقد زاد تكرارها المعنى قوة وتأكيداً وفي وقفة متأملّة متأنية عند

للصوت قيمة سمعية في اللغة العربية. فلكل حرف من حروفها صوت يباين في نغمته الأصوات الأخرى. وعندما تتشكل هذه الحروف فيما بينها يحدث تلاؤم صوتي بين الألفاظ. مما يؤدي إلى ضرب من التناغم. واللغة العربية لغة موسيقية ذات أنغام خاصة. عندما تترج حروفها تؤلف نغماً. تطرب له الأذن. وتقبل عليه النفس: لحفته وعذوبته. وقد تركزت هذه الموسيقى التي تحمل بين طياتها أبعاداً دلالية متنوعة في كتاب الله العزيز؛ إذ أصبحت حروفه الصامتة ناطقة بأبلغ بيان وأروع معنى. فإنك مهما تذهب مذاهب شتى. وتغيّر وتبدل من أوضاع حروفه. فلن تجد غير ما صنع القرآن في هذه الحروف. وغير ما اختار منها. إذ ليس وراءها شيء يصلح أن يكون إزاءها. أو يحل مكانها (٤٩). ذلك بأن «نظم القرآن ونغمه ينبعث من كلماته. وحروفه. وأسلوبه. فحروفه متأخية في كلماته. لها موسيقى (٥٠) ونغم تهتزله المشاعر. وتسكن عنده. فتطمئن النفوس» (٥١).

ويمثل التنغيم: النغمات الموسيقية المنتظمة في حديث كلامي معين. وتكون مصاحبة للتركيب. ولها أثر مهم في فهم معنى الكلام (٥٢). وتختلف الطبيعة النغمية لأصوات الحروف. فالعين والقاف من أكثر الحروف إيقاعاً وتنغيماً؛ لذا قيل: إن «العين والقاف لا يدخلان في بناء إلا حسناهما. لأنهما أطلقا الحروف. فأما العين فأنصع الحروف جرساً. فإذا كانتا. أو أحدهما. في بناء حسن البناء لنصاعتهما» (٥٣).

وقد كثر تكرار هذين الحرفين في سورة العلق؛ إذ ورد حرف (القاف) سبع مرات. و (العين) أربع مرات. وهذه الحروف حدث إيقاعاً حينما تتكاثر في نص معين (٥٤). وهذا ما لمسناه في هذه السورة. إذ ورد في مقطعيها الأول والثاني. في قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). حرف (القاف) ست مرات. و (العين) أربع مرات. و (الميم) سبع مرات. وقد أحدث هذا التكرار إيقاعياً انمازت به هذه السورة. يوحي بالخفة والتطريب. ولا عجب في ذلك لأنها نزلت للتخفيف عن نفس رسول الله. فضلاً عن ذلك إن آياتها جاءت قصيرة متنوعة الفواصل. وكثر الوقف في كل مقطع من مقاطعها. على الرغم من قصرها. ما ساعد على التوافق النغمي فيها.

وقد شكل اختلاف الأساليب الطلبية في هذه السورة وحدة تنغيمية ظاهرة للعيان أيضاً؛ إذ جمعت هذه السورة بين الأمر والإخبار والاستفهام والتأكيد والنهي والردع؛ إذ تمثل الأمر في قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ). والإخبار في قوله: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ). والاستفهام في قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ) التي تكررت ثلاث مرات. والتأكيد سواء بتكرار الألفاظ: (اقْرَأْ) (خَلَقَ) (الْإِنْسَانَ) (عَلَّمَ) (أَرَأَيْتَ). أو التأكيد بأدوات التأكيد. إذ استعمل (إن). والردع بـ(كلا). والنهي بـ(لا تطعه). كل ذلك كان له أثر واضح على المستوى التنغيمي الموسيقي. وقد جمعت ألفاظها بين عذوبة الجرس وإيحائه. فكان للتنغيم أثر في انتقاء الألفاظ. من ذلك قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ). إذ استعمل السياق القرآني لفظة (ربك). ولم يستعمل

وإذا كان الضغط على المقطع الثالث فيكون النبر كما يأتي:

المادة	المدة	الشدة
يعلم	٠,٣٧٩	٦٦,٢٢
	٧٩٨,٧	

وهذه النسبة تختلف باختلاف الضغط على المقاطع. وهذا يعني أن مهمة النبر مهمة جمالية تمثلت في قراءة القرآن الكريم وتلاوته (١٧). ولهذه المهمة أثر في النفس والحق - تبارك وتعالى - يقول في هذا الأثر: (لَوْ أَنْزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (١٨)؛ لما له من شدة الأثر (١٩).

وإذا دققنا النظر في المقاطع التي عليها النبر لوجدنا أن الشدة في المقطع الأول بلغت ذروتها في لفظة (خلق) إذ بلغت (٧٩,٠٠) . وكذلك التردد إذ بلغ (٢٧٧,٨٨). وهي نسبة عالية موازنة مع باقي المقاطع ولعل هذه الشدة تتناسب مع دلالة السياق العام للسورة إذ أظهر لنا المقطع الأول عظمة الله وقدرته فجاء بهذه الألفاظ الشديدة التي تصك السمع . وقد بلغت المدة أعلى مراتبها إذ وصلت إلى (٠,٤٥) في لفظة (يعلم) وهي في المقطع الأول أيضاً وهذا يتناسب دلالياً مع الجو العام لهذا المقطع . وقد تكون لهذه الزيادة دلالة على أن العلم في تزايد مستمر إذ لا يقف عند حد معين والله العالم .

دلالة العلق بين الأصل اللغوي والسياق القرآني أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة (مجملاً أم تفصيلاً) إلى مجموعة الحقائق التي لا تقبل الجدل. سواء في الأفاق أم الأنفس أم الطبيعة : ما يؤكد إعجازه العلمي. فكما أن الله - تبارك وتعالى - أنزل لعباده كتاباً مقروءاً ناطقاً. فقد خلق لهم الكون والأنفس والطبيعة كتاباً صامتاً. يعبر بلسان الحال عما جاء في الكتاب البليغ. بأبلغ العبارات. وألطف الإشارات. وقد دعانا الله - جل شأنه - في كتابه العزيز إلى طريق العلم بما جاء في ذلك الكتاب. بكل ما أوتينا من العقل والحكمة. فكانت الآيات التي تصف الكائنات المخلوقة. وسيلة للفت العقول إلى سنن كونية. وشد الأبصار إلى مشاهد حسية. كشفت حقائقها بحوث العلماء في عصرنا هذا. وبرهنت عليها وسائل البحث العلمي. وسُبل الاختراع. فكانت أصدق برهان على إعجاز القرآن الكريم. فضلاً عن أنها دلت على وجود الصانع وعظيم قدرته. وواسع علمه (٧٠).

ومن ذلك ذكره - جل شأنه - للعلق. مرجعاً خلق الإنسان إليه. في سياق خصص فيه فعل (الخلق). لسعة معناه وما يحمله من بعد دلالي عام يشمل كل المخلوقات؛ ليدل على خلق سيد تلك المخلوقات . فقد أورد النص القرآني أحد مراحل تطور الجنين داخل الرحم. بكيفية تتفق تماماً مع ما عرف في العصر الحديث. وقد سميت هذه المرحلة بـ(العلقة)؛ لأن استقرار البيضة في الرحم يكون بانتشار الزغابات (التخريزات) التي هي امتداد لها. وهذه الزغابات تجعلها تعلق في رحم الأم. وهي بذلك تشبه علقه البرك من ناحية الشكل الخارجي والوظيفية؛ لأن الجنين في هذه المرحلة يسبح في السائل الأمني؛ لذا جاء الوصف

أصوات هذه الكلمة. مجدها تصدر من مخارج متقاربة. فمخرج (النون) لثوي. ومخرج (الصاد) أسناني لثوي. أما (الياء) فمخرجه غاري (١١). وقد ألفت هذه الحروف مع هذا التقارب بين أصواتها. محققة انسجاماً وتقارباً ملحوظاً. فضلاً عن ذلك. فإن التباين في المخرج أدى إلى اختلاف جرس الحروف. ومع ذلك فإنها شكلت باجتماعها جرساً موسيقياً واحداً. أضفى خصيصة ذاتية محسوسة في بناء هذه اللفظة. من خلال تباين أجراس حروفها. وبهذا يظهر لنا التناغم الموسيقي لهذه الألفاظ؛ ليشمل السياق بأكمله لأن اللفظ جزء من السياق.

فضلاً عن أن النسق اللفظي في السورة. قد تمثل في تقصير عرض المشاهد في جمل قصار. كقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى). فهذا التقصير في هذه الآيات أحدث تنغيماً موسيقياً. يجذب النفس والأسماع. فضلاً عن أنه أكد فكرة قصر الحياة وسرعة فنائها. إذ (إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى) فكما أن نسق الآيات قصير. كذلك الحياة قصيرة لا تدوم لأحد مطلقاً.

موسيقى الألفاظ في سورة العلق على مستوى النبر أما النبر: فهو: كما يقول جونز «نشاط ذاتي للمتكلم. ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات. أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به» (١٢). وهو علو الصوت وارتفاعه (١٣). ويمثل وضوحاً نسبياً للصوت. إذا قيس إلى بقية الأصوات والمقاطع في الكلمة (١٤). وللنبر أنواع في اللغة . هي:

- ١- النبر القوي أو النبر الأولي: primary stress
- ٢- النبر المتوسط أو الثانوي: secondary stress
- ٣- النبر الضعيف: weak stress

وهذه الأنواع تتضح في كلمة (مستحيل). فالمقطع الأول (مُس) يمثل النبر المتوسط. (ت) نبر ضعيف. و (حيل) نبر قوي (١٥) أما في القرآن الكريم. فيظهر النبر في تلاوة مضمونه عند الضغط على حرف من حروف الكلمة فيه . ويختلف النبر من قارئ إلى آخر. وقد لا تميز مقاطع النبر بالسمع لدقته: بل تحتاج إلى أجهزة لمعرفة. وفي سورة العلق نذكر نبر بعض الألفاظ التي وردت فيها. إذ أشار إليها (١٦) الدكتور خالد العبسي. إذ أجرى اختباراً أكوستيكياً لهذه السورة. بناءً على قراءة أحد القراء. وظهر النبر في بعض ألفاظها على المقطع الأول على النحو الآتي:

المادة	المدة	الشدة	التردد
(الأساس)			
خلق	١,٣٧٧	٧٩,٠٠	٢٧٧,٨٨
ترى	٠,٣٤٧	٧٢,٥٧	٧٤٢,٤٤
يعلم	٥,٤٧٠	٧٥,٣١	٢٢٤,٠٥
أما إذا كان النبر على المقطع الثاني. فقد اختلفت النسبة وكانت كالآتي:			
المادة	المدة	الشدة	التردد
(الأساس)			
يعلم	٠,٤٥٠	٧٤,٣٠	٢٧٥,٥٧

أم أن العلق في (سورة العلق). غير العلق في بقية الآيات؟! وإذا كان العلق واحداً، كيف يمكن التوفيق بين دلالاته، التي أشارت إليها الدكتورة، ودلالة النطفة والمضغة وغيرها؟! لقد وردت لفظة (العلق) في سياق دعا فيه الله - جلّ شأنه - رسوله الكريم ' إلى التعلم، بعد طول حيرته التماساً للهدى والحق. وطول خلوته المتألمة في ملكوت السماوات والأرض: فقد خلق الإنسان من علق. وعلمه ما لم يعلم. فالسياق يدور حول العلم والتعلم.

وقد جاء القرآن الكريم بإعجازه العلمي ليحثّ الناس على التفكير ويدعوهم إلى التأمل والتعمق في طبيعة الخلق وكيفية تطوره. إذ فتح لهم أبواب المعرفة، ودعاهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلم (٧٥). فالمعجزة التي جاء بها الرسول الكريم ' معجزة عقلية من جانب، تعتمد العقل الذي يدرك ويتحقق، ثم يعي ويستعين، يدرك سموها الإنسان في كل الأجيال (٧٦). وروحية من جانب آخر، إذ جاءت منسجمة مع فطرة النفس الإنسانية (٧٧): لذا نجد القرآن الكريم يتغلغل في أعماق نفوسنا وخلجاتها ليكشف عن أسرارها وطبائعها. كما يتغلغل في مجالات الحياة وميادينها ليكشف عن أسرارها وحقائقها «فهو بمسك بأحوال النفس كلها ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجهتها للأحداث وفي تصورها لها وإحساسها بها» (٧٨) (إذ أكرمه الله - جلّ شأنه - بمعجزة علمية روحية خالدة، لتكون دليلاً ناطقاً على صدق نبوته، فضلاً عن المعجزات الحسية الكثيرة التي شرفه الله بها، إنه القرآن الكريم، كتاب الله الذي عكف على دراسته الأدباء، والبلاغيون، واللغويون، والفقهاء، والمفسرون، والمتكلمون، والمؤرخون، وغيرهم، ويعكف عليه الآن علماء النفس، والتربية والطب، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، ليستمدوا منه معارف غنية، وموارد جلية في اختصاصاتهم (٧٩): لذا يعد من الإجحاف في حق القرآن، إذا قُصرت النظرة في إعجازه على ناحية البلاغة فيه، وروعة البيان، وسحر التأثير، الذي هو أمر خاص بالعرب: لأنه معجز للعالمين بإعجاز آياته الكونية والعلمية (٨٠).

فالقرآن لم يحصر بعصر دون آخر ومعجزته معجزة دائمة وليست آنية خُصّت بأهل ذلك العصر فقط. وهنا يكمن إعجازه، إذ يتحدى كل عصر بنسج ما يقرون به «وهكذا بقي القرآن الكريم درة كل زمان، وفريد كل عصر، ينهل من معينه الفصحاء، ويقتبس من روضة البلغاء، وبقيت تلك الوجوه في إعجازه، والتي حار العلماء والمفكرون في الكشف عنها، وما زالوا يكشفون عنها كل يوم جديد (٨١).

ومن هنا جاء انتقاء الألفاظ في النص القرآني منسجماً مع معطيات ذلك النص، فاختر الألفاظ ذات الأبعاد العلمية والروحية، في آن واحد، فلو إننا جئنا بمصادفها في الوزن والدلالة لما أدت ما أدته اللفظة المختارة، وهذا ما نجده في لفظة (العلق) ذات البعد العلمي والنفسي، الذي تناسب مع البعد الذي تمثله هذه اللفظة في التكوين البشري فضلاً عن دلالتها

القرآني لهذه المرحلة مطابقتاً تمام المطابقة لما هو معروف اليوم، فيما يتعلق بأطوار نمو الجنين (٧١).

وبذلك لم تبتعد دلالة العلق عن معناها الذي عرفت به: لأن أصل العلق: هو التشبث بالشئ يقال: علق الصيد بالحباله، والمعلق والمعلق ما يعلق به، ومنه تسمية الرئة بالمعلق، والعلق الدم المنجمد، والمراد به ما تستحيل إليه النطفة في الرحم ومنه يكون الولد: لأنه يتعلق بجدار الرحم (٧٢)، ويلتصق به عن طريق التخرزات التي تنتشر حولها، وهذا يتفق مع ما أثبتته الطب الحديث.

ومع ذلك يستوقفنا في هذا الصدد رأي للدكتورة (عائشة عبد الرحمن)، التي أكرت على الباحثين المحدثين الذين أجهوا بقوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) إلى مجال البحث في (علم الأجنة)، ملتجئين المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا؛ لفهم هذه الآية الكريمة التي نزلت على النبي الأمي ' في قوم أميين لم يسمعوها قط، ولم يكن في عصرهم (علم الأجنة)، إذ تستبعد الدكتورة أن يقدم القرآن الكريم آنذاك آيات ربوبية الخالق وقدرته بما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره، فضلاً عن فهمه وإدراكه، وترى أنهم فهموا من (العلق)، ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم، ذاكرة أن لللفظة (العلق) في العربية بعدين:

الأول: مادي، يطلق على كل ما يعلق وينشب، كالدم والمجور الذي تعلق عليه البكرة، ومنه: علقت المرأة: أي حملت. والثاني: معنوي، يطلق على العلاقة التي تنشب بين اثنين، حباً أو بغضاً: أي أنه الصلة التي تربط بينهما (بين الرجل والمرأة). وبأحد هذين المعنيين - على رأيها - فهم العربي معنى (العلق) في الآية الكريمة، دون الحاجة إلى دراسة علم الأجنة، أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعدهم بقرون: ليفهموا آية خلق الإنسان من علق في أرحام الأمهات، في الوقت الذي ألفوا فيه استعمال عبارة: علقت المرأة: بمعنى حملت (٧٣).

بدءاً دعنا نسأل الدكتورة عائشة، فنقول لها:

إذا كانت دلالة العلق ما ذهب إليه، ماذا عن بقية المسميات التي وردت في هذا المجال، وفي مواضع متعددة من القرآن الكريم، كـ (النطفة، والمضغة، والخلفة، وغير الخلفة ... وغيرها)؟

إن ما ورد في سورة الوحي الأول، من ذكر لآية الله - سبحانه - في هذا الإنسان الذي خلقه من علق، إنما هو توطئة لما سوف يتنابع من آيات الوحي التي تزيد كل تلك الملامح الجملة تفصيلاً وبياناً، والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) (٧٤).

ماذا عن هذه الآية وغيرها من الآيات التي تناولت خلق الإنسان؟ أنزلت في عصر غير ذلك العصر، وفي بيئة غير تلك البيئة؟

الانسجام، إذ جمعها سلك إيقاعي دلالي، فجاءت في أسلوب ينساب في عذوبة وسلاسة، في حسن تركيب، وبديع ترتيب، وتلك هي قمة البلاغة التي لا تفصل بين جوهر المعنى، وأسلوب أدائه من حيث التناسب والتألف والعذوبة والإيقاع، فكان لها أثرها الواضح في القلب والعقل، والروح والفكر، وهذا مالا نجده في خطاب سوى الخطاب الإلهي المعجز.

الهوامش

- ينظر: الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، (بحث)، (محمد قطب عبد العال): ١.
- ٢- سورة العلق: ١ - ٢.
- ٣- الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، (بحث)، (سعيد سالم فاندني): ١٠٢.
- ٤- ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٤، علم الأصوات اللغوية: ٤٦.
- ٥- سورة العلق: ٥.
- ٦- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٩٧.
- ٧- ينظر: الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، (بحث)، (محمد قطب عبد العال): ١.
- ٨- سورة العلق: ٣ - ٥.
- ٩- ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٤، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصرة: ١٢٢.
- ١٠- عَدَّ القدماء (العين) من الأصوات المتوسطة، على حين عَدَّه المحدثون من الأصوات الرخوة، ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٤.
- ١١- ينظر: المرجع نفسه: ٢٤.
- ١٢- سورة العلق: ٦ - ١٤.
- ١٣- ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٤.
- ١٤- ينظر: منه المنان في الدفاع عن القرآن: ٣٧/١.
- ١٥- سورة ق: ٣٥.
- ١٦- ينظر: منه المنان في الدفاع عن القرآن: ٣٧/١.
- ١٧- الدراسة الأدبية: ١٩.
- ١٨- ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم (دراسة تحليلية): ٧٩.
- ١٩- ينظر: الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، (بحث)، (سعيد سالم فاندني): ١١١.
- ٢٠- ينظر: التفسير الكبير: ١٦/٣٢، الميزان: ٢٠/٢٩٥، ٢٩٦، منه المنان في الدفاع عن القرآن: ٤٣٥/١، ٤٣٦.
- ٢١- ينظر: منه المنان في الدفاع عن القرآن: ٤٣٥/١، ٤٣٦.
- ٢٢- ينظر: التفسير الكبير: ١٦/٣٢.
- ٢٣- ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٣١ - ١٣٣.
- ٢٤- القرآن وقضايا الإنسان: ١٩.
- ٢٥- سورة العلق: ٦ - ١٤.
- ٢٦- ذهب أكثر المفسرون إلى أن المراد من الإنسان في هذه السورة، إنسان واحد، وهو (أبو جهل)، ومنهم من قال: أنزلت السورة من الآية السادسة إلى آخرها في أبي جهل، ينظر: التفسير الكبير: ١٦/٣٢، الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/٢٠.

الإيقاعية التي شكلت في تناسبها مع بقية الألفاظ موسيقى إيقاعية تعرف بـ (موسيقى القدرة) (٨٢)، وهي موسيقى تحدث في السياق الذي يتناول عظمة الله وقدرته، كخلق الإنسان ومظاهر الكون، وغيرها من الأمور التي تدل على قدرة الخالق، التي كانت المحور الأساس في هذه السورة، كما بينا سابقاً. هذا وإن "كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبعد نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه" (٨٣)، وكما علمنا إن مقصد هذه السورة بيان قدرة الله فاستدلت على هذه القدرة بـ (العلقة) وما توصل إليه العلم الحديث خير دليل على ذلك.

الخلاصة

إن المتأمل في سورة العلق، يجد تأثير الألفاظ المختزنة في الإيقاع المناسب للمعنى، وكان ذلك من تمام أسلوبها في إظهار البرهان على قوة الله - جل شأنه - وقدرته وعظيم كرمه، إزاء ضعف الإنسان وطغيانه، فكان اختيار السياق القرآني لألفاظ ذات ملامح دلالية، وطاقات تعبيرية، تميزها من غيرها من الألفاظ التي تؤدي المعنى نفسه، وكان من بين تلك الطاقات تلك التي تؤديها طبيعة الأصوات التي تستقل بها تلك الألفاظ، إذ أكسبتها أبعاداً دلالية، وذائقة سمعية تميزها بما سواها، حتى بدت حروفها في كلماتها، وكلماتها في جملها، كأنها في انتلافها وتناسبها قطعة واحدة، فكان إيقاع الكلمات والجمل وتناغمها في وحداتها المعنوية، موافقاً للمعنى الإفرادي (الجزئي) في اللفظة، والمعنى الكلي الجامع، الذي تدل عليه السورة، وبذلك تضافرت كل مكونات النص ومعطياته؛ لإبراز المعنى الكلي للسورة، الذي لم يرق على موسيقى اللفظ منفرداً، أو تناغم الكلمة وحدها، بل على دلالة الجملة أو العبارة التي انتظمت في سياقها.

وكان للأبعاد الدلالية التي أدتها الفواصل أثر واضح في دلالة السورة، إذ جاءت فواصلها متلائمة تمام الملائمة مع المعنى المراد، إذ تناسبت حروفها في إيقاعها وزناً وجرساً؛ لتوحي بالمعنى العام للسورة، فكان ذلك التناسب حاصل بين الوحدات المعنوية في السورة، مع عدم الإخلال بالأبعاد الدلالية العامة فيها. أما تكرار الحروف في الكلمة، وتكرار الكلمات في الآيات، فقد كان له أثره الدلالي الواضح، الذي يضاف إلى المدلول المعنوي المستفاد من الوظيفة اللغوية للكلمة، فكان إيقاع اللفظ وتناغمه، وإيقاع العبارات وتناغمها جرساً موسيقياً متناسقاً من الناحية الإيقاعية، ومن الناحية الدلالية، مجلياً بذلك، وقع في السمع، وأثر في النفس، لدى المتلقي، الذي أبهره ذلك الانسجام في النغم بين مجموع الكلمات في الآية الواحدة، الذي أضفاه تناسب حروفها، والانسجام بين مجموع آياتها، الذي نتج عن تناسب المقاطع الصوتية، التي تنوعت تبعاً لتنوع موضوعات السورة، فجاء تنوع الإيقاع فيها مناسباً لتنوع الموضوعات التي انتظمت في عقد واحد تنوعت شذراته، وانتظمت حباته فبدت منسجمة في أعلى مستويات

- ٢٧- الكتاب: ٢/ ٢٩٨.
- ٢٨- ينظر: تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٢٧.
- ٢٩- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٢٤.
- ٣٠- الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، (بحث) (سعيد سالم فاندي): ١١١.
- ٣١- التفسير الكبير: ٣١/ ١٧، ١٨.
- ٣٢- المصدر نفسه: ٣٢/ ١٨.
- ٣٣- ينظر: المصدر نفسه: ٣٢/ ١٨.
- ٣٤- ينظر: المصدر نفسه: ٣٢/ ١٩، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٩٧.
- ٣٥- ينظر: التفسير الكبير: ٣٢/ ٢١.
- ٣٦- ينظر: المصدر نفسه: ٣٢/ ٢٢.
- ٣٧- سورة العلق: ١٥- ١٨.
- ٣٨- ينظر: التفسير الكبير: ٣٢/ ٢٣، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٩٩ وما بعدها.
- ٣٩- ينظر إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: ١/ ٣٠٦.
- ٤٠- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٧٨.
- ٤١- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: ٢٧٧.
- ٤٢- ينظر: من بلاغة القرآن في سورة الإنسان (دراسة بلاغية خليلية)، (بحث)، (د. السعيد عبد الحميد النوتي): ٢١.
- ٤٣- ينظر: البناء اللغوي في الفواصل القرآنية: ٢٦٦.
- ٤٤- سورة العلق: ١٩.
- ٤٥- مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٧٨٣، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٣٠١.
- ٤٦- الكافي: ٣/ ٣٢١.
- ٤٧- ينظر: مجلة الرياحين: ٤٠.
- ٤٨- دلالات التركيب: ٢١٧.
- ٤٩- ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية، (أطروحة دكتوراه): ٩٧.
- ٥٠- كُتِبَ (موسيقى)، وهو خطأ شائع والصحيح (موسيقى).
- ٥١- البناء الصوتي في البيان القرآني: ٢٢.
- ٥٢- ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية: ١٩٧.
- ٥٣- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٥٧.
- ٥٤- ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٤٣.
- ٥٥- الصوت اللغوي في القرآن: ١٩.
- ٥٦- ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٧٢.
- ٥٧- لسان العرب: ٦/ ٧٠ (ريب).
- ٥٨- المصدر نفسه: ٦/ ١٢٤ (رحم).
- ٥٩- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ٨٤٧.
- ٦٠- ينظر: مفردات غريب القرآن: ١٨٤.
- ٦١- ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٤٣.
- ٦٢- دراسة الصوت اللغوي: ١٨٨.
- ٦٣- ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية: ١٩١.
- ٦٤- ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٦٤.
- ٦٥- ينظر: علم الأصوات اللغوية: ١٣٢.
- ٦٦- اعتمدت دراسة د. خالد العباسي لعدم وجود المختبر الصوتي في الجامعات العراقية، الذي يحوي الاجهزة الحديثة التي تمكننا من إجراء مثل هذا الاختبار.
- ٦٧- ينظر: النبر في العربية (مناقشة لمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن): ٣٤٩ - ٣٨٨.
- ٦٨- الحشر: ٢١.
- ٦٩- ينظر: النسق القرآني دراسة أسلوبية: ٥٧.
- ٧٠- ينظر: القرآن والإعجاز العلمي (بحث)، (د. عبد الستار حامد): ٣٣١.
- ٧١- ينظر: مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة (بحث)، (د. ناطق محمد جواد): ٦٨١.
- ٧٢- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٩، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٩٦، منه المنان في الدفاع عن القرآن: ١/ ٤٣١.
- ٧٣- ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٨/ ٢.
- ٧٤- سورة الحج: ٥.
- ٧٥- ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٤٩.
- ٧٦- ينظر: القرآن الكريم المعجزة الخالدة، (بحث)، (د. عبد الرحيم أحمد الزقة): ٢٧٩، ٢٨٠.
- ٧٧- ينظر: التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، (رسالة ماجستير): ١٨٠.
- ٧٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ١، نقلاً عن التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، (رسالة ماجستير): ١٨٠.
- ٧٩- ينظر: إعجاز القرآن، (بحث)، (د. محي هلال السرحان): ٦٤٠.
- ٨٠- ينظر: القرآن والإعجاز العلمي، (بحث)، (د. عبد الستار حامد): ٣٣٤.
- ٨١- ينظر: القرآن الكريم المعجزة الخالدة، (بحث) (عبد الرحيم الزقة): ٢٧٣، ٢٧٤، إعجاز القرآن الكريم، (بحث)، (د. عبد الرزاق اسكندر): ٣٠٣.
- ٨٢- إن النسق الصوتي ينوع بتنوع الأجواء التي يعرضها السياق فهناك موسيقى الدعاء كقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) البقرة: ٢٨٦. وهناك موسيقى الطوفان كقوله تعالى: (وَهِيَ جَرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) هود: ٤٢. ينظر النسق القرآني دراسة أسلوبية: ٣٧.
- ٨٣- ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السورة: ١٤٩/١، نقلاً عن أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني (أطروحة دكتوراه): ١٦٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، ط ٣، ١٩٦١م.
- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، تونس، ١٩٨٠م.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي بكر بن

- بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الصور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م. نقلاً عن: أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني (أطروحة دكتوراه).
 - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، ط ١، ١٤١٣، ١٩٩٣م.
 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، قم، ط ١، ١٤٢٥هـ.
 - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
 - مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مطبعة النجار، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩م.
 - منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد الصدر، منشورات ذوي القربى، مطبعة الكوثر، ط ١، ١٤٢٦هـ.
 - الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ أياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
 - النبر في العربية (مناقشة لمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، خالد عبد الحليم العبسي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، أريد، ٢٠١١، (وهي أطروحة دكتوراه قدمت لجامعة سبأ في اليمن).
 - النسق القرآني (دراسة أسلوبية)، د. محمد ديب الجاجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م. نقلاً عن التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، (رسالة ماجستير).
 - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، مطبعة الأدب والمؤدب، القاهرة، ١٩٦١م.
 - الرسائل والأطاريح
 - أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني (أطروحة دكتوراه)، محمد عامر محمد، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
 - التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، (رسالة ماجستير)، إقبال وافي نجم، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
 - الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية من القرن الثالث حتى القرن السابع الهجري، (أطروحة دكتوراه)، حسين أحمد مهاوش العذاري، كلية تربية بن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.
 - البحوث والدوريات
 - الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد الأنباري، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، المطبعة النعمانية، ١٩٧١م.
 - البناء الصوتي في البيان القرآني، د. محمد حسن شوشن، دار الطباعة المحمودية، القاهرة، ١٩٨٨.
 - البناء اللغوي في الفواصل القرآنية، د. علي عبد الله حسين العنبيكي، مطبعة دار صفاء، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
 - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ضبط محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٣م.
 - التصوير الفني في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، د. جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١ - ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
 - التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف القاهرة، ط ٤، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
 - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) المطبعة البهية، مصر، (د.ت).
 - الدراسة الأدبية، رؤف خوري، دار المكشوف، بيروت، ط ١، ١٩٤٥م.
 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ط ١، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٦م.
 - دلالات التركيب، محمد أبو موسى، مطبعة وهبة، ط ٢، ١٩٨٧م.
 - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، د. غانم قدوري الحمد، ط ١، ١٩٨٢م.
 - الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية، بغداد، ط ٣، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧م.
 - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، جامعة القاهرة، دار القلم، ١٩٦٦م.
 - القرآن وقضايا الإنسان، د. عائشة عبد الرحمن، دار العلم، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨م.
 - الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية للتصحيح محمد الأخوندي، (د.ت).
 - كتاب سيبويه، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة بولاق الأميرية، مصر، ١٣١٧هـ.
 - لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥م.
 - مباحث في علوم القرآن، مناع القطاع، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
 - مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاني، والسيد فضل الله الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- قطب عبد العال. مجلة المجمع العلمي العراقي. بغداد. العدد ٢٢. لسنة ٢٠٠٣م.
- إعجاز القرآن. د. محي هلال السرحان. نشر في ضمن بحوث المؤتمر الأول (للإعجاز القرآني). مطبعة الأمة. بغداد. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- إعجاز القرآن الكريم. د. عبد الرزاق اسكندر. نشر في ضمن بحوث المؤتمر الأول (للإعجاز القرآني). مطبعة الأمة. بغداد. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم. د. سعيد سالم فاندي. مجلة الدعوة الإسلامية. كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. العدد العشرين. ٢٠٠٣م.
- من بلاغة القرآن في سورة الإنسان دراسة بلاغية تحليلية. د. السعيد عبد المجيد النوتي. جامعة أم القرى. (بحث نشر على الإنترنت) على الموقع: <http://uqu.edu.sat/it>
- القرآن الكريم المعجزة الخالدة. عبد الرحيم أحمد الرقة. نشر في ضمن بحوث المؤتمر الأول (للإعجاز القرآني). مطبعة الأمة. بغداد. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- القرآن والإعجاز العلمي. د. عبد الستار حامد. نشر في ضمن بحوث المؤتمر الأول (للإعجاز القرآني). مطبعة الأمة. بغداد. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- مجلة الرياحين. مجلة ثقافية شهرية تعنى بشؤون المرأة. العدد ٤١. ١٤٣٠هـ.
- مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة. د. ناطق محمد جواد. نشر في ضمن بحوث المؤتمر الأول (للإعجاز القرآني). مطبعة الأمة. بغداد. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. العلامة محمد علي التهانوي. (سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية. تقديم ومراجعة. د. وفيق العجم. تحقيق. د. علي دحروج. مكتبة لبنان. ناشرون. ط ١. ١٩٩٦م.